د - أصل دنقل

بـــــراءة

أحس حيال عينيك
بشيء داخلي يبكي
أحس خطيئة الماضي تعرت بين كفيك
وعنقودا من التفاح في عينين خضراوين
أأنسى رحلة الآثام في عينين فردوسين ؟
وحتى أين ؟
تعذبني خطيئاتي .. بعيدا عن مواعيدك
وتحرقني اشتهاءاتي قريبا من عناقيدك !
وفي صدري
صبي أحمر الأظفار والماضي
يخطط في تراب الروح
في أنقاض أنقاضي !
وانظر نحو عينيك

فترعشني طهارة حب
وتغرقني اختلاجة هدب
وألمح - من خلال الموج - وجه الرب
يؤنبني
على نيران انفاسي يقلبني
وأطرق ..
والصراع المر في جوفي يعذبني !!

... ...

أحدق في خطوط الصيف في شفتيك :

يعوى داخلى الحرمان

(لهيب آدمى الشوق ،

مصباحان يرتعشان

وأهرب نحو عينيك :

يطالعنى الندى والله والغفران !

وأسقط بين نهديك

لتحترق الرؤي

فتشوى رغبتى شيا

وأبدل جلدى الثعبان

وأغرق فيهما بالنار والشك

وأغمض عنك عينيا

وأسند رأسى الملفوح في صدرك

فقد تترمد الأفكار في جمرك

وأحرق جنة المأوى

... ...

فيا ذات العيون الخضر

دعي عينيك مغمضتين فوق السر

... لأصبح حر !!

صـــــلاة

أبانا الذى فى المباحث نحن رعاياك . باق لك الجبروت .

وباق لنا الملكوت . وباق لمن تحرس الرهبوت .

تفردت وحدك باليسر . إن اليمين لفي الخسر .

أما اليسار ففي العسر . إلا الذين يماشون
إلا الذين يعيشون يغشون بالصحف المشتراة -
العيون .. فيعشون . إلا الذين يشون وإلا
الذين يوشون ياقات قمصانهم برباط السكوت !

تعاليت . ماذا يهمك ممن يذمك ؟ اليوم يومك
يرقى السجين إلى سدة العرش ..
والعرش يصبح سجنا جديدا وأنت مكانك -قد
يتبدل رسمك واسمك . ولكن جوهرك الفرد لا
يتحول . الصمت وشمك . والصمت وسمك والصمت
- أنى التفت - بدون ويسمك . والصمت بين خيوط
يديك المشبكتين المصمغتين يلف الفراشة والعنكبوت

أبانا الذى في المباحث كيف تموت
وأغنية الثورة الأبدية
ليست تموت !؟

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :
أغلقى المذياع ،
هذا زمن السكتة ،
" سالومي " تغني ..
من ترى يحمل رأس " المعمدان " ؟!

في انكسارات الظلال ..
تبدأ الأحزان في أعماقنا إيقاعها الهادىء ،

تصحو الرغبة المرتعشة .
تتوالى قطرات الصمت من صنبورها الفضى ،
كى ترسم في صفحة ماضينا .. الدوائر
صورة لامرأة تجلس في البهو – تحوك الصوف –
في منزرها البيتى ، لفاء الضفائر
نقرات المطر العذبة في النافذة البيضاء ،
دفق الدفء من تمتمة القطة ،
موسيقى السكون الموحشة
مركبات الغد تدنو في الخيال ..
تصهل الأفراس عند الباب :
– " أين القادمون ؟ "
– والليل .. والوحدة .. والشوق المحال !
(تقاسيم) :
عقب استعراضها الفاشل .. لم تخلع رداء الرقص ،
ظلت خلف أستار " الكواليس " ،
ترد السحب الزرقاء عن أعينها ، وتبكى شباباً ..
كانت المتعة فيه : قطعة الجبن .. وكأسين من " الروم " ،
لكي تمرح في غرفة ريفى من الطلاب ..
لا تملك يمناه سوى الكسرة والتبغ الرخيص ،
(الآن يمشي خلفه .. سرب من الأطفال ،
عند النوم يسطون على منظاره الطبي .. حتى لا يرى !
وجهها صاف .. وعيناها غديران من الحزن ،
ويدنو الخادم الأسمر ، يلقي باقة الورد ،

ويلقى دعوة للسهر ..
(.. الآن ستمضي ،
وغدا سوف يوافيها الطبيب – الموت والاجهاض –
هذا شهرها الثالث . رغم الحذر الشائع !
حتى أنت يا أقراص منع الحمل ؟!
ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !)
منفرد :
من يفترس الحمل الجائع
غير الذئب الشبعان ؟
ارتاح الرب الخالق في اليوم السابع
لكن لم يسترح الانسان

صوت (٢) :
وحدها .. تساقط الدمعة من عين الليال
بعد أن علقها الوهم طويلا ..
وحدها ؛ سرعان ماترشفها الأرض ؛
وينساها الرجال
شربوا قهوتها المرة ، والمذياع مازال يغني !
والمصابيح تضاء !
(١)
مصفوفة حقائبي على رفوف الذاكرة .
والسفر الطويل ..
يبدأ دون أن تسير القاطرة !
رسائلي للشمس ..
تعود دون أن تمس !
رسائلي للأرض ..

ترد دون أن تفض !
يميل ظلي في الغروب دون أن أميل !
وهاأنا في مقعدي القانط .
وريقة .. وريقة . يسقط عمري من نتيجة الحائط
والورق الساقط
يطفوبحيرة الذكرى ، فتلتوي دوائرا
وتختفى . دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقيقتى " رجاء " ماتت وهي دون الثالثة .
ماتت ومايزال في دولاب أمي السري
صندلها الفضي !
صدارها المشغول ، قرطها ، غطاء رأسها الصوفي
أرنبها القطني !
وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت
فلا أراها تمسك الحائط .. علها تقف !
أنسى بأنها ماتت ..
أقول : ربما نامت ..
فى الغرف .
وعندما تسألنى أمى بصوتها الخافت
أرى الأسى في وجهها المتقع الباهت
وأستبين الكارثة !

(٣)

عرفتها في عامها الخامس والعشرين .
والزمن العنين .
رأيتها .. ذابلة العينين والأعضاء
تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء

ثيابها السوداء !

(٥)

حبيبتى فى لحظة الظلام ؛ لحظة التوهج العذبة

تصبح بين ساعدي جثة رطبة !

ينكسر الشوق بداخلي ، وتخفت الرغبة

أموء فوق خدها

أضرع فوق نهدها

أود لو أنفذ في مسام جلدها

لكن .. يظل بيننا الزجاج .. والغياب .. والغربة

وذات ليلة ، تكسرت مابيننا حواجز الرهبة

فاحتضنتني .. بينما نغوص في قرارة التربة

تبعثرت في رأسها شرائح الصورة والنجوم

واختلطت في قلبها الأزمنة الهشيم

لكنها وهي تناجيني

سمعتها تناديني

باسم حبيبها الذي قد حطم اللعبة

مخلفاً في قلبها .. ندبة !!

ينشب في أحشائها أظفاره الملوية .

صلت إلى العذراء ، طوفت بكل صيدلية

تقلبت بين الرجال الخشنين !

.. وماتزال تشتري ... ... !

.. ماتزال تشتري ... ... !

... ...

وحين ... ... ليلة الرعد

تفجرت بالخصب والوعد

واختلجت في طينها بشارة التكوين !

لكنها نادت أباها في الصباح ..
فظل صامتا !
هزته .. كان ميتا !!

(٤)

من شرفتي كنت أراها في صباح العطلة الهادىء
تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء
ثياب طفليها ، ثياب زوجها الرسمية الصفراء
قمصانه المغسولة البيضاء
تنشر حولها نقاء قلبها الهانىء
وهى تروح وتجىء .
... ...
والآن بعد أشهر الصيف الرديء

تجربة نقدية ٨ :

عندما نبحث فى صيغة الشعر الجديد فى مصر فإننا نضيع كثيراً فى زحمة كلام كثير ينشر أكثره لا يمت للشعر أو النثر بصلة . وكثير منه لايحتوى على صيغة مضمونية أو شكلية من أى نوع وبالتالى لايصدر عن رؤية واضحة أو منظور محدد .

"أمل دنقل" كان واحداً من الشعراء الذين يقول النقاد عنهم إن القدر لم يمهلهم لكى يكملوا مشوار الإبداع وكأننا على ثقة من أن القدر لو أمهلهم سوف يصنعون أعظم مما صنعوا ، أو يقدمون شيئاً أكثر مما قدموا . وربما كان يحدث العكس لو أن القدر أمهلهم ليفعلوا ذلك . هذه واحدة . الثانية هى فيما يتعلق بالزمنية فنحن عندما نقول ذلك نقرن دائما بين هذا القول ومتوسط الأعمار فى مصر . التى عادة ماتكون فوق سن المعاش أى منتصف الستينات . ونسى تماماً أن عمر الإنسان لا علاقة له بمتوسط الأعمار .. وأن الأمر غير متعلق بسبب واحد نستطيع أن نقول يمهله القدر أو لايمهله .

و"أمل دنقل" يثير سؤالاً هاماً هل كل عمل أدبى يصلح أن يكون محوراً للنقد ؟ وإذا كان قد سبق لنا أن أشرنا إلى أن مهمة الناقد المعاصر أن يفسر النص ويكشف عن جمالياته وينيرة . ويلقى الضوء على عناصر تكويناته .. ماذا يحدث إذن إذا إكتشف الناقد أن النص لايحتمل شيئاً من هذا ؟ ألا تعنى تلك المقدمة النقدية أنها لاتتعامل إلا مع نص ترى فيه شيئاً يجب أن يكتشف أو يجب أو نساعد على تقديمه وتفسيره وشرحه وتحليله . فماذا عن النص الذى لايحتوى شيئاً ؟

وسؤال آخر يثار .. ماذا نريد من الشعر على وجه التحديد ؟ . وماذا على الشاعر أن يفعل ؟ .. ومن هو الشاعر العظيم ؟ . على الشعر أن يعبر عن التجربة الإنسانية الفريدة تعبيراً دقيقاً .. ومهمة الشاعر هنا أن يكون على وعى بمتغيرات البيئة والمجتمع .

لأمل دنقل "أوراق الغرفة ٨" و"البكاء بين يدى زرقاء اليمامة" و"العهد الآتى" و "لاتصالح" وغيرها . وهو شاعر من جيل الستينات وهو من مواليد الحرب العالمية الثانية شأن جيلنا الذى ولد خلال هذه الحرب (١٩٣٩/١٩٤٠) وعاصر حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٨ ، ١٩٩٠ . وعاصر كافة متغيرات البيئة المحلية والعالمية . وعانى تجرباتها المختلفة .. هو جيل لايملك أن يتعامل مع غير هذه البنية الفكرية والسياسية . وهو أيضاً جيل شب وترعرع مع الثورة ولذلك فهو يتبنى أفكارها ويعارضها يؤمن بالوحدة العربية والقومية العربية كمحور حيوى . كان لابد من ظهوره خلال فترة المتغيرات العالمية فى الخمسينات والستينات . وعندما بدأت محاور التغيير تطرأ على البنية السياسية العالمية فى السبعينات رفض هذا الجيل كافة المتغيرات التى لاتتوافق مع بنية الثورة الفكرية ليس على المستوى المحلى ولكن على المستوى العالمى . ذلك أن مهاجمى عبد الناصر لم يكونوا يستطيعون الرؤية على صعيد أشمل وأوسع وأكثر عالمية : فثورة مصر كانت متوافقة مع متغير عالمى حادث على صعيد العالم الثالث كلـه ، وعلى صعيد العالم الأول الذى بدأ يعيد حساباته وينسحب بشكل أو بآخر لا لأن القوى الثورية أخرجته من مستعمراته ، ولكن لأن متغير السياسية قد فرض عليه نوعاً من الاستعمار عليه أن يستخدمه . ومعنى هذا أن الفترة كانت ذات حتميات لانملك كأفراد أو كدول الوقوف أمام زحفها الهائل وجنوحاتها المتوالية .

وأمل دنقل كان أكثر حدة من صلاح عبد الصبور فى مواجهة متغير الأحداث السياسية ، وكانت قصيدته الهائلة "لاتصالح" علامة على صدق الرؤية التجريبية عنده ، قالها للسادات قبل اتفاقية كامب ديفيد .. واستمعنا إليها وهو يلقيها فى أيامه الأخيرة وقد أنهكه المرض على مسرح السلام وقد اتكأ على عصاه وجمهور من المستمعين من أقطار العالم المستشرق والعربى حضروا للإحتفال بالذكرى الخمسينية لشوقى وحافظ سنة ١٩٨٢ . وقتها أحسست من صوته ورد فعل الحضور أننا فعلاً نفقد شاعراً آخر ليس من السهل ظهور بديل له فى الوقت الحاضر على الأقل .

أذكر أننى لقيته بمقر الجمعية الأدبية المصرية بشارع قولة بعابدين وكنا فى بدايات العشرينات من عمرنا ولم أفهم لماذا هو شاعر مشهور فلم أكن أجد مبرراً لديه يجعله مشهوراً .. ولكنى صرت واحداً من معجبيه فيما بعد لعدد من الأسباب الفنية بطبيعة الحال أهمها على الأطلاق "وضوح الرؤية" ومن ثم "طواعية الأدوات التشكيلية" .

اخترت من أعماله أشياء غير مشهورة ـ براءة ـ صلاة ـ موت مغنية مغمورة .

عنصر أول :- مفردات لغوية :- أفعال :- أحس ـ يبكى ـ تعرت ـ أنسى ـ تعذبنى ـ تحرقنى ـ يخطط ـ أنظر ـ ترعشنى ـ تغرقنى ـ ألح ـ يؤنبنى ـ يقلبنى ـ أطرق ـ أحدق ـ يعوى ـ يرتعشان ـ أهرب ـ يطاردنى ـ أسقط ـ تحترق ـ تشوى ـ أبدل ـ أغرق ـ أغمض ـ أسند ـ تترمد ـ أحرق ـ دعنى ـ أصبح

المفردات تقع تحت عنوان "البراءة" دلالاتها تتسق فى محور واحد ثمة خيط رفيع بين العناصر اللغوية فى الأفعال المستخدمة يصنع بعيداً عن النص محوراً مختلفاً فيما لو استخدمت أسماء وأحرف مغايرة .. الأسماء المستخدمة تربط بين الأفعال بشكل يحيط بالدائرة اللغوية فتبعد الدلالة لتؤثر فى محور مغاير

الأسماء :- عينيك ـ داخلى ـ خطيئة ـ الماضى ـ كفيك ـ عنقود ـ تفاح ـ عينيه ـ خضراوتين وهكذا .. ونحن نجد أننا فى حالة كتابة الأسماء سوف نكتب ثلاثة أرباع مفردات القصيدة مرة أخرى . ولكن هذا النموذج يجعل محور الأفعال وقد انقلب عن مضمونه تماماً .

هذا بين واحد "وعنقوداً من التفاح فى عينين خضراوتين" . ومايحمله من تداعيات معنوية تبعد بالنص كثيراً عن محور الأفعال السابقة .

هذه إشكالية نقدية أولى :- أهمية اكتشاف عناصر العلاقات بين الوحدات

اللغوية المختلفة .. فالتقسيم إلى محاور فعلية واسمية وحرفية . يقدم دلالات كل محور على حدة . ثم تعود محاور المضمون فى التكوين عن طريق التفاوت الأسماء بالأفعال بالأحرف وفقاً للنسق الذى يختاره الشاعر لها .. وهذا النسق فى النهاية هو خاصية الشعر عند الشاعر .

نلحظ فى استخدامات الشعر الحديث اعتماده علي تفصيلات لاتقتصر على نفسها فى البحر العروضي القديم . ولكنها واحدة من بحر مزدوج التفعيلة أحياناً ولكنها تعتمد على نصف واحد مفاعلتن / فعولن / مستفعلن / فاعلاتن ونحوها .

تبدو "صلاة" من المتقارب "فعولن" وبها محور سياسى هام يتمحور فى مفردات : المباحث ـ الجبروت ـ الملكوت ـ الرهبوت ـ اليسر ـ الخسر ـ اليسار ـ العسر ـ السكوت ـ السجين ـ الفرش ـ الفرد ـ الصمت ـ العنكبوت .

هذه مفردات المعنى السريع فى القصيدة تبلورت المعانى بها سريعاً ونحن نعلم أنه شاعر يعرف كيف يعبر بالكلمة عن المعنى دون أن يتورط فى إهانات تكون مبرراً له للسقوط .

وفى "موت مغنية مغمورة" صورة للتعبير الشعرى المعاصر وقد حاولت إكتشاف "مثاليته العروضية" ووجدتها تستخدم مستفعلن ومفاعلين ومتفاعلن أو مايدور حولهما من صور تغيرية .. مع احتماليات كبيرة للتدوير الحادث بين بيتين أو أكثر . والقافية متناثرة على غير نظام الدوائر ـ الضفائر ـ الخيال ـ المحال ـ الجائع ـ السابع ـ الشبعان ـ الإنسان ـ الليال ـ الرجال ـ الذاكرة ـ القاطرة .. الخ .

وقد تثير القصيدة عدة تساؤلات .

ماذا يحدث إن حاسبنا "الشعر الحديث" على مدى انضباطيته فيما يتعلق بدرجة تعامله مع معطيات علوم اللغة العربية : النحو ـ الصرف ـ المعانى ـ

البيان ـ البديع ـ القوافي ـ ومدى توافقية المعطيات المعنوية مع دقة استخدام المعارف العربية .

ونحن نلحظ فى النص استخدام صيغ الأمر : أغلقى . وهذا هو الفعل الوحيد فى القصيدة على لسان (صوت(١) ونلحظ وجود (منفرد) و(صوت ٢) المنقسم إلى عناصر ١ . ٢ . ٣ . ٥ . ٤ !! وقبلها (تقاسيم) .

ونلحظ أن الصيغة المضارعة هى الصيغة الغالبة : ترى ـ تبدأ ـ تصحو ـ تتوالى ـ ترسم ـ تحوك ـ تصهل ـ تخلع ـ ترد ـ تبكى ـ تمرح ـ تملك ـ يسطون ـ يرى ـ يدنو ـ يلقى ـ ستمضى ـ يفترض ـ يسترح ـ تساقط ـ ينساها ـ يغنى ـ تضاء ـ يبدأ ـ تسير ـ تعود ـ تمس ـ ترد ـ تفض ـ يميل ـ أميل ـ يسقط ـ يطفو ـ تلتوى ـ تختفى ـ أدخل ـ أراها ـ أنسى ـ تسألنى ـ أستبين ـ تنشر ـ تصبح ـ ينكسر ـ تخفت ـ أموء ـ أضرع ـ أود ـ يظل ـ تكسرت ـ نغوص ـ تناجينى ـ تناديني ـ ينشب ـ تزال ـ تشترى ـ تنشر .

وواضح الكثرة الفاشية فى إستخدامات المضارعة بينما تقل أفعال الماضى كثيراً وربما نلحظ أيضاً أن المفردات تنتمى لبيئة معنوية واحدة تنقسم إلى عدة فروع تنشأ منها تداعيات كثيرة عند الشاعر أولاً قبل المتلقى . بحيث يمكن من خلال اكتشاف خيوط البنية الأفقية والرأسية اللتين تلتقيان عند محور معنوى خاص لابد من محاولة اكتشافه وقدرة الشاعر على التعبير عنه.

واستخدامات صيغ الأزمان يستلزم محاولة اكتشاف أسلوبية النص : صيغة الأمر فى البداية والاستفهام . والتقرير التصويرى (تبدأ الأحزان ـ تصحو الرغبة ـ تتوالى قطرات الصمت ـ كى ترسم فى صفحة ـ تصهل الأفراس ـ ظلت خلف ـ ترد السحب ... الخ

والسمة الغالبة هى خلو النص من أساليب الاستفهام الكثيرة وأساليب النداء والتعجب والتفضيل ونحوها . ولجوئه للغة التقرير فى المضارعة .

إذا فتشنا عن محور بنائى آخر سوف نجد النص ينقسم (بمعرفة الشاعر) إلى :

صوت ١ به ١٨ بيتا منقسمة إلى قسمين الأول منهما ستة أبيات قصيرة .

تقاسيم به ١٧ بيتاً منقسمة إلى نص وجمل اعتراضية طويلة الجمل .

منفرد مكون من أربعة أبيات متوسطة الطول .

صوت ٢ به ستة أبيات متراوحة الطول .

صوت (١) به ثلاثة عشر بيتاً متراوحة الطول .

صوت (٢) به ثلاثة عشر بيتاً متراوحة الطول .

صوت (٣) به خمسة أبيات متراوحة الطول .

صوت (٥) به سبعة وعشرين بيتاً متراوحة الطول .

صوت (٤) به سبعة أبيات متراوحة الطول .

بالإضافة إلى بيت واحد قبل الأخير يحتوى على تسع نقط (. . . . . .)

التكوين على هذا النحو يجعل الحبكة أو العقدة plot تتمركز فى المحور (صوت ٢/٥) وهو على هذا النحو بالفعل من حيث التركيب البنائى المعنوى .

* * *

للمـــؤلف

١- الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر .	دار المعارف	١٩٨١
٢- المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث .	دار المعارف	١٩٨٢
	ط ٢ دار عامر - المنصورة	١٩٩٢
٣- الشعر المترجم وحركة التجديد في الشعر الحديث .	دار المعارف	١٩٨٣
	ط ٢ دار المعارف	١٩٩١
٤- فصول في الأدب(التراث - النقد - النظرية).	دار المعارف	١٩٨٣
	ط ٢ دار عامر - المنصورة	١٩٩٢
٥- دراسات نقدية في الشعر والقصص .	دار الثقافة للطباعة والنشر	١٩٨٣
٦- صلاح عبد الصبور (قراءة في بيبلوجرافيا الشاعر والكلمة).	دار الثقافة للطباعة والنشر	١٩٨٤
٧- رؤية الواقع في المسرح المصري الحديث .	دار الثقافة للطباعة والنشر	١٩٨٥
	ط٢ مؤسسة مصر للطباعة	١٩٩٠
٨- مؤثرات وافدة في نقد الأدب عند طه حسين .	دار الثقافة للطباعة والنشر	١٩٨٥
٩- دراسات في الرواية والقصة .	دار المعارف	١٩٨٥
١٠- الرؤية الشمولية في تأريخ الأدب عند شوقي ضيف .	دار الثقافة للطباعة والنشر	١٩٨٥
١١- بحوث في الأدب الإسلامي .	دار الوفاء بالمنصورة	١٩٨٦
١٢- مقالتان في الأدب العربي .	الدار الفنية للنشر والتوزيع	١٩٨٦
١٣- أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث .	دار المعارف	١٩٨٧
١٤- بحوث تجريبية في الأدب المقارن (أعيد به طبع بحثي صلاح عبد الصبور ومؤثرات وافدة في نقد الأدب عند طه حسين).	الدار الفنية للنشر والتوزيع	١٩٨٨
١٥- الرواية الجديدة في مصر .	دار المعارف	١٩٨٨
١٦- مقالات متفرقة (أعيد به طبع : بحوث في الأدب الإسلامي . والرؤية الشمولية في تاريخ الأدب عند شوقي ضيف).	الدار الفنية للنشر والتوزيع	١٩٨٩

١٧- في نظرية الأدب .	دار عامر – المنصورة	١٩٩٠
١٨- من مسرح الشعر (ثأر الله – البخيلة).	دار عامر – المنصورة	١٩٩٠
١٩- نجيب محفوظ : الإيقاع والمتغير .	الدار الفنية للنشر والتوزيع	١٩٩٠
٢٠ – الحداثة : أزمة الخطاب الأدبي المعاصر .	مؤسسة مصر للطباعة	١٩٩٠
٢١- الإبداع والشعر : قراءة في مقدمة القصيدة الحديثة .	دار عامر – المنصورة	١٩٩١
٢٢- الإبداع والشعر : قراءة في نص القصيدة الحديثة .	دار عامر – المنصورة	١٩٩١
٢٣ – من إشكاليات الحداثة .	دار عامر – المنصورة	١٩٩٢
٢٤- الحداثة والأصولية (أفكار وآراء أولية) .	دار عامر – المنصورة	١٩٩٢
٢٥- روايات من مصر (تجارب في النقد التطبيقي) .	دار عامر – المنصورة	١٩٩٢